



رقم السؤال:
5711

ما حكم إفشاء أسرار المجاهدين عند الإكراه أو الخوف ؟

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ثم أما بعد:سؤلنا عن إخوة يقاتلون الأمريكان ومن ثم اعتقلوافهم ثلاثة أقسام:قسم ثبتهم الله وقسم اعترفواعلى إخوة تحت وطأة التعذيب وقسم اعترفوادون تعذيب وإنماتأولوا السجن إكراها والبعض بدون حتى أية تأويل.فماحكم من فعل هذه الأفعال .أجيبونا نسأل الله ربناأن يوفقكم ويسدد قولكم.

السائل: عبيدة الشامي

المجيب: اللجنة الشرعية في المنبر

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على نبيه الكريم
وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد :

فنقول أولا:

إن التعذيب والإيذاء والسجن ابتلاء من الله عز وجل, ومن شأن المؤمنين الثبات على الدين في الشدة والرخاء على حد سواء.

والمنافقون بخلاف ذلك, كما قال تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج : 11]

وقال تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ} [العنكبوت : 10]

وهذا هو الجبن المذموم ..

الجبن الذي يجعل الإنسان يتخلى عن دينه ويتنصل من عقيدته ويؤثر عليها سلامة النفس وعافية البدن !

{إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّاالْمُصَلِّينَ (22) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (24) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (25) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (26) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (27) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} [المعارج : 19 - 28]

قال ابن كثير :
({ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا } أي: إذا أصابه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب) تفسير ابن كثير (8 / 226)

وقال الواحدي : ({ إذا مسَّه الشر جزوعاً } يجزع من الشَّرِّ ولا يستمسك) الوجيز للواحدي - (1 / 1041).

فصبرًا على نوبات ما ناب واحتسب .. فما يستوي عبد صبور وجازع

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (شر ما في الرجل شح هالع، أو جبن خالع), والجبن الذي يجعل الإنسان ينخلع من دينه ولا يثبت عليه هو بالقطع جبن خالع !

وهذا الجبن سببه عدم الصبر وعدم الاستعداد للابتلاء ..

فلم أر أوفى للبلاء من التقى ... ولم أر للمكروه أشفى من الصبر

إن الصبر هو خير ما يمنحه الله لعباده كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر"

والصابرون على دينهم لا ينقلبون عنه ولا يتراجعون ولا يزيدهم البلاء إلا ثباتا وصمودا ..

روى البخاري عن خباب بن الأرت قال : " شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو متوسد بُردة له في ظل الكعبة ، قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو لنا ؟ قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه "

وكان كفار مكة يعذبون المستضعفين من المسلمين أشد أنواع التعذيب ويراودونهم على الرجوع ولكنهم يرفضون..

عن عثمان رضي الله عنه قال : بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء ، إذ بعمار ، وأبيه وأمه يعذبون في الشمس ، ليرتدوا عن الإسلام ، فقال أبوعمار : يارسول الله ، الدهر هكذا؟ ، فقال : (صبراً يا آل ياسر . اللهم اغفر لآل ياسر ، وقد فعلت) [أخرجه أحمد.

قال ابن إسحاق : (وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر ، وبأبيه ، وأمه ـ وكانوا أهل بيت إسلام ـ إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة . فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ، فيما بلغني : صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة) ابن هشام ـ السيرة النبوية ـ 1/320 .

و كان بلال يوضع في بطحاء مكة وعلى ظهره وبطنه الحجارة الحارة فيقول: أحد أحد.

وقتل خبيب ومزق إربا إربا بعد أن رفض الرجوع عن دينه , وفي ذلك يقول خبيب :

وقد خيروني الكفر والموت دونه ... وقد هملت عيناي من غير مجزع
ولست أبالي حين أقتل مسلماً ...على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ .... يبارك على أوصال شلو ممزع

وقال له أبو سفيان : أيسرُّك أنَّ محمداً عندنا تُضْرَبُ عنقُه وإنك في أهلك ، فقال خبيب : لا واللهِ ، ما يسرُّني أني في

أهلي ، وأنَّ محمداً في مكانـهِ الَّذِي هُوَ فيه تُصيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤذِيه.

وأما حبيب بن زيد فقد أسره مسيلمة فقال له: أتشهد أني رسول الله فقال :لا أسمع , فقال , أتشهد أن محمدا رسول الله قال : نعم , فأمر به فقطع وكلما قال له أتشهد أني رسول الله قال : لا اسمع, فإذا قال له أتشهد أن محمدا رسول الله قال : نعم . حتى قطعه عضوا عضوا حتى قطع يديه من المنكبين ورجليه من الوركين ثم حرقه بالنار وهو في كل ذلك لا ينزع عن قوله ولا يرجع عن ما بدأ به حتى مات في النار رحمه الله .

ولهذا أثنى الله سبحانه وتعالى على هذا الجيل الفريد الصابر المحتسب الجاد في تمسكه بدينه فقال تعالى : {وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين } (آل عمران:146-147).

إن طريق الحق وسبيل الأنبياء مليء بالشدائد والصعاب، محفوف بالمكاره والأعطاب.. قال الله تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [آل عمران:186].

قال ابنُ كثير: (فكلُّ مَنْ قَامَ بحقٍ أو أمر بمعروفٍ أو نهى عن منكر فلا بدَّ أنْ يؤذى فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله، والرجوع إلى الله).

إنها طريق وعرة !

وعلى السالكين لها الاستعداد لتحمل المشقة ومكابدة البلاء :{إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا }..

إن الحكمة من وجوب قتالنا لأعداء الله هي إظهار مدى صبرنا ومستوى تحملنا كما قال تعالى :{وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرًا}.

وقال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } [آل عمران:142]،

وقال سبحانه : {ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم}[محمد: 31].

فمن عرف من نفسه عدم الصبر أو عدم الاستعداد له فليعلم بأنه ليس من أهل هذا طريق ..

لأن طريق الحق هو طريق الصابرين ..

قال تعالى في وصف المتقين :
{وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة : 177].

إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن الابتلاء سبب لرفعة الدرجات وتكفير السيئات :

روى الترمذي بسند حسن أنه صلى الله عليه وسلم قال: (إن عظم البلاء مع عظم الجزاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط).

وروى الإمام أحمد بسند حسن عن مصعب بن سعد عن أبيه قال :

(قلت لرسول الله صلى الله عليه و سلم : أي الناس أشد بلاء قال فقال الأنبياء ثم الامثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة).

وعن ابن عباس , عن النبي صلى الله عليه وسلم , قال:

(يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب , ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب , ثم يؤتى بأهل البلاء ولا ينصب لهم

ميزان , ولا ينشر لهم ديوان , فيصب عليهم الأجر صبا , حتى إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم.) رواه الطبراني في المعجم الكبير بسند حسن .

ولهذا كان الصالحون يستعذبون البلاء في سبيل الله ويجدون فيه لذة وحلاوة ..

وقد ذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الصبر قصة قتل حطيط الزيات الكوفي؛ وكان عابداً زاهداً يصدع بالحق؛ قتله الحجاج لميله لابن الأشعث. فقال :

(حدثنا ثابت بن أحمد الخزاعي حدثنا أبي حدثنا سليمان بن صالح حدثني علي بن أبي حفص عن أبي الصيداء قال:
أرسل الحجاج إلى حطيط وبلغه عنه أنه كان يقول اللهم إني أعاهدك لئن أعطيتني لأشكرن ولئن ابتليتني لأصبرن.
فسأله فصدقه فلم يكن يسأله عن شيء إلا صدقه وهو في ذاك ينكته بقضيبة فقال له أمسك عني يديك وإلا عاهدت الله ألا أكلمك كلمة حتى ألقاه.

قال فأبى الحجاج إلا تناوله وسكت حطيط فأراده على الكلام فأبى ودعا صاحب العذاب فأمره أن يحمله على الأشقر والأشقر حبل من ليف ممدود بين ساريتين يحمل عليها الرجل ويفضى بفرجه إليه يرجل به ويمسكه الرجال ففعل ذلك به أيامًا كلما قرح ما هناك عادوا به عليه فيقول إذا رجل به {إن الإنسان خلق هلوعًا إذا مسه الشر جزوعًا وإذا مسه الخير منوعًا إلا المصلين} ثم يمطط في قوله {إلا المصلين} فيمدها ولا ينبس بكلمة حتى يرفع عنه العذاب.

فلم يزل كذلك حتى هجم الحبل على جوفه ثم قال اذهبوا بي إلى الحجاج فأكلمه.

فانطلق البشراء فقال أجزع الخبيث؟ ائتوني به.

فلما جاؤوا به قال أيه أجزعت؟!

قال لا والله ما جزعت ولا طمعت في الحياة وإني لأعلم أني ميت ولكن جئت لأوبخك بأعمالك الخبيثة وأشفي صدري ألست صاحب كذا ألست صاحب كذا يوبخه حتى أمحكه فدعا بالحربة فأوجرها إياه.) الصبر - (1 / 37).

ثم ذكر أخبارا عجيبة من صبر الشجاء الخارجية التي قتلها ابن ابي زياد فقال :

(حدثني محمد بن الحسين حدثني داود بن المحبر قال سمعت أبي المحبر بن قحذم يقول:

لما مثل بالشجاء صبرت وجعلت تعزي نفسها بالقرآن وتقول {واصبر وما صبرك إلا بالله} {ولئن صبرتم لهو خير للصابرين}.

ثم قالت لئن كنت على بصيرة من أمري إن هذا لقليل في جنب عظيم ما أطلب من ثواب الله.

قال فما تكلمت بغير هذا حتى ماتت.

وحدثني محمد بن الحسين حدثنا أبو عمر الضرير حدثني بكر بن حمران قال:

لما قيل لها قد أمر بقطع يديك ورجليك وسمل عينيك قالت الحمد لله على السراء والضراء وعلى العافية والبلاء قد كنت أؤمل في الله ما هو أكثر من هذا.

قال فلما قطعت جعل الدم لا يرقأ فأحست بالموت وقالت حياة كدرة وميتة طيبة لئن نلت ما أملت يا نفس من جزيل ثواب الله لقد نلت سرورًا دائمًا لا يضرك معه كدر عيش ولا ملاحاة الرجال في الدار الفانية.
قال ثم اضطربت حتى ماتت.) الصبر - (1 / 28).

أقول : ولا ينبغي أن تكون نساء الخوارج أشد صبرا ولا أقوى عزيمة من رجال أهل السنة والتوحيد .

وقد يعظم في عين الشخص ما يهدد به من الابتلاء والنكال لكن لا ينبغي أن يغفل المؤمن عن معية الله سبحانه

وتعالى ولطفه بعباده فكما أنه جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم ووقى الشهيد من ألم سكرة الموت حتى ما يجد منه إلا القرصة , وجعل نار الدجال جنة لمن دخلها , فهو قادر على رحمة من شاء من عباده وأوليائه وجعل ما يعد لهم من العذاب بردا وسلاما .. إكراما لهم وإنعاما.. وإن بدا للناس عذابا وإيلاما .

فالبخلُ وَ الجبنُ في الإنسانِ منقصةٌ ... لمْ يجنِها غيرُ سوءِ الظنِّ باللهِ

روى البخاري في صحيحه عن بنت الحارث ابن عامر قالت :

(والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب في يده وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول إنه لرزق من الله رزقه خبيبا).

***

وبالنسبة لما ورد في السؤال نقول :

لا يجوز للمسلم أن يكشف أسرار المسلمين للعدو أو يعترف ببعض أسماء إخوانه الغير معروفين أو يدل على مكانهم .

ويجب عليه أن يتحمل قدر طاقته وينكر ما أمكنه الإنكار ,وأن يحتسب الأجر في ذالك ويتحمل المشقة والتعذيب من أجل نصرة دينه .

وعليه أن يتذكر أن تقديمه لأي معلومات بمثابة التنازل عن الدين ..

ولا يجوز له إفشاء تلك الأسرار إلا إذا أكره على الاعتراف إكراها شديدا لا يتحمله ..

وينبغي له قبل ذالك أن يحاول تضليل الأعداء وخداعهم كذكر أسماء يعلم بأنهم لن يعثروا على أصحابها بسهولة أو تقديم المعلومات غير المهمة أو الناقصة ولا يجوز له ذكر المعلومات المهمة إلا إذا لم يجد من ذالك بدا .

وإذا كانت الاعترافات التي سيدلي بها تؤدي إلى مفسدة أعظم من قتله فالصبر في حقه أفضل ولو أدى إلى قتله .

ومن الحكم التي قالتها العرب : "كن أحْرصَ على حفْظ سر صَاحبك منكَ على حَقْن دَمك" .

إن كشف أسرار المسلمين للكفار والدلالة على عوراتهم من جنس الأفعال المكفرة لما فيه من نصرة الكفار على المسلمين , فلا يجوز للمسلم استباحة هذا الأمر إلا في حالة الإكراه الملجئ .

وقد ورد في قصة الغلام والراهب في صحيح مسلم أن الراهب قال للغلام : (أى بنى أنت اليوم أفضل منى. قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل على ..... فجىء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل . فقال إنى لا أشفى أحدا إنما يشفى الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب).

أما التبرع بالمعلومات التي في إفشائها ضرر على المسلمين دون إكراه أو تهديد فنخشى –والله اعلم- ان يكون ذالك من الموالاة لما فيه من نصرة الكفار على المسلمين .

والله أعلم
والحمد لله رب العالمين .

أجابه، عضو اللجنة الشرعية :
الشيخ أبو المنذر الشنقيطي